

## تاريخ الرياضة المتوسطية

أ د بوسليمي عبد الجواد . سلاذكا ألكسندر جامعة باريس 10

تأسست ألعاب البحر الأبيض المتوسط عام 1951 بمصر , وشهدت دورتها الثالثة عشرة في مدينة باري بإيطاليا في جويلية 1997. إنها تظاهرة تعقد كل أربع سنوات, نظمت دوما في السنة التي تسبق الألعاب الأولمبية, حتى عام 1991, ثم و منذ عام 1993 أصبحت تنظم في السنة التي تتبع هذه الألعاب, وتشتمل على ثلاثين لعبة > اشتملت في السنة الأخيرة على 28 لعبة>. وتشهد هذه المنافسة الدولية نجاحا متناميا منذ إنشائها . وفيما يخص المشاركة , فقد زاد عدد الرياضيين من 700 إلى أكثر من 3,000, و عدد البلدان المشاركة من 8 إلى 18 , و هي تضم بذلك مجموعة الأمم الواقعة حول البحر الأبيض المتوسط, باستثناء إسرائيل و فلسطين. و وراء الحدث الرياضي البسيط, تكشف هذه الألعاب الجهوية , التي اعترفت بها الحركة الأولمبية رسميا, مختلف الرهانات الجغرافية السياسية و المتعلقة بالهوية , و ذلك من خلال بعض أوجه تاريخها. من المهم أن نلاحظ, من خلال هذا التطور , أنه و منذ تأسيس اللجنة الدولية لألعاب البحر الأبيض المتوسط عام 1961, تمثل هذه اللجنة البنية الوحيدة الثابتة التي تجمع بلدان البحر الأبيض المتوسط ضمن سلطة ذات قرار. تبقى ألعاب البحر الأبيض المتوسط ظاهرة لم تدرس إلا قليلا نسبيا كما هو الحال بالنسبة لأغلبية الألعاب الجهوية, رغم مرور أكثر من أربعين سنة على تأسيسها. و هكذا و بالمقارنة مع الألعاب الأولمبية, فلم ينشر سوى مؤلف واحد مختصر عنها يعبر عن ميزتين: ضعف الإهتمام الإعلامي بها و نقص مصادر تمويلها. و إذا نحن عدنا إلى الوراء , سندعش من ضعف الذاكرة الجماعية المرتبطة بهذه الألعاب , على الرغم من الجودة المتزايدة و المتجددة لساحتها الرياضية و التي تتمثل في حضور أبطال أصليين بانجازاتهم المتميزة. يعتبر الغياب شبه الكامل للمحفوظات الرسمية عملية طمس أو , على الأقل, صعوبة حقيقية في وجه كتابة تاريخ لها غير تاريخ الوقائع و النواذر. و أتاحت لنا مراجعة استثنائية في مصادر متحف الرياضة بالوصول إلى المصادر العصرية. كما سمح لنا التقاطع بين الوثائق ذات الأصول المختلفة ببناء بعض الفرضيات و بنتيجة أبحاثنا الوثائقية التي أكملناها من خلال مباحثات مع المدير الحالي للجنة الدولية لألعاب البحر الأبيض المتوسط السيد كولار, الرئيس السابق للجنة الأولمبية الفرنسية CNOSF , فقد اخترنا أن نوجه دراستنا في اتجاهين, ساعين إلى الجمع بين التقرب التاريخي و التقرب الجغرافي السياسي. و ذلك كي نحاول أن نضع الألعاب في سياقها الجهوي , و أن نحلل الدور المتعلق بالهوية لأكبر المنافسات الدولية. أضف إلى ذلك أننا سنكتفي بأن نشير ببساطة لهذا البعد, أخذين بالإعتبار العمل الهام في التحليل الرياضي الخاص بألعاب 1979 و 1983 الذي قام به ر. بوجاسو (1).

**قراءة بعيدة مع كوبرتان.** من المفيد أن نذكر أن ألعاب البحر الأبيض المتوسط ليست ابتداءا من العدم , فهي تنضوي ضمن حركة أكثر اتساعا لتطور الألعاب "الجهوية", المقتبسة إلى حد كبير من النموذج الأولمبي, و تربط معه علاقات غامضة في الغالب. و نستطيع أيضا الحديث عن طراز يعد ألعاب ذات ظلال استعمارية جديدة (العاب الكومونولث) أو تجارية ( ألعاب الغودويل التي أسسها نيد تورنار) حيث تمثل ألعاب البلدان الصغيرة التي يسمح فيها لبلدان صغيرة جدا بالحصول على حصصها من الميداليات, نموذجا أكثر غرابة. و قد شجع محور التطور الأولمبي هذا , بشكل واسع, مثل كوبرتان نفسه في العديد من الوثائق الرسمية (2). و سمحت حركة نشر الروح الأولمبية جهويا, و التي بدأت عام 1910 مع "ألعاب الشرق الأقصى", بنشر المثالية الأولمبية , إضافة إلى نشر الممارسات الرياضية. و هكذا فقد ساهمت هذه الممارسات الرياضية في وضع الأساس لجغرافية سياسية رياضية مؤكدة للهوية , و ذلك باعتمادها على مجموعات جغرافية و حضارية , في الغالب. و نستطيع ضمن خط كوبرتان هذا أن نبحت عن الأصل الأولي للألعاب المتوسطية, عبر محاولة أولى غير مثمرة بين الحربين, و ذلك من أجل تنظيم ألعاب إفريقية, في الجزائر أولا عام 1925 , ثم في الإسكندرية عام 1927. و قد أطلق كوبرتان بهذه المناسبة حملة تبرعات عامة . و بني ملعبا في مصر لهذا الغرض, غير أنه كان على مصر أن تواجه انسحابا متأخرا و غريبا من قبل الدول الاستعمارية التي كان عليها إرسال فرقها المحلية.

**تاريخ بلا أحداث.** و مع ذلك , فقد أسست الألعاب المتوسطية بروح أخرى , بعد الحرب العالمية الثانية, بفضل إرادة مصريين مؤسسي الحركة الأولمبية , نذكر منهما طاهر باشا , نائب رئيس اللجنة التنفيذية للجنة الدولية الأولمبية. لقد اقترحت مصر إذن, الممثلة في اللجنة الدولية الأولمبية منذ بداية القرن , تنظيم أولى الألعاب التي تدور على أرض القارة الإفريقية. و بفضل موقع طاهر باشا و تأثيره , رأت ألعاب المتوسط, أخيرا النور في 5 أكتوبر 1951 في الإسكندرية و جمعت إحدى عشرة أمة. و منذ الدورة الأولى, نجحت الألعاب المتوسطية في تحقيق مآثرة في أن تجري كل أربع سنوات , رغم البيئة الإقليمية المضطربة غالبا. و هكذا فقد دارت هذه الألعاب على التوالي: في برشلونة (1953) و بيروت (1959) و نابولي (1963) و تونس (1967) و إزمير (1971) و الجزائر (1975) و سبليت (1979) و الدار البيضاء (1983) و اللاذقية (1987) و أثينا (1991) و في لانغدوك روسيون (1993) و باري في العام الماضي. و كما أشرنا إلى ذلك سابقا, سوف لا نعود إلى التحليل التاريخي لهذه الألعاب, إذ قد قام بهذا العمل ج ب مازو MAZOT في مؤلفين , رغم أنه من المناسب أن يعيد قراءة مجموع الوثائق مع تركيز أقل على الوقائع. و يبدو لنا أكثر أهمية أن نقف من وجهة نظر تزامنية تبرز الثوابت و مميزات هذه الألعاب بشكل خاص. و على الرغم من عيوب المحفوظات التي أشرنا إليها سابقا, فإن محاولة

التقسيم إلى فترات تبدو لنا ممكنة , من أجل تقديم نقاط علام على الأقل. و هكذا و بالإستناد إلى كتابات مازو, و كذلك إلى المعطيات الرقمية, فقد استطعنا أن نقدم التقسيم التالي: الفترة بين 1951-1959, تمثل بشكل طبيعي مرحلة التأسيس النشطة إلى حد ما, على الرغم من الصعوبات الأنيبة. من 1963-1975, تعيش الألعاب المتوسطية مرحلة أكثر صعوبة, حيث يلفت أن هويتها تبنى في سياق جغرافي سياسي مضطرب.

و تمثل ألعاب سبليت عام 1979, دون أدنى شك, المنطلق التاريخي للألعاب التي عرفت منذ ذلك التاريخ انطلاقة رياضية هامة, يمكننا القول أنها ظلت مستمرة حتى ألعاب أثينا. و أخيرا يمثل عام 1993 منطلقا جديدا مع الإنتقال إلى السنة ما بعد الأولمبية ذات النتائج العديدة, و الذي لا يمكن الحكم عليها بسبب القرب الزمني, بخاصية تجاه بعض العملة التي عمت في الألعاب الأولمبية في أتلنتا. و من وجهة نظر رياضية, تشمل الألعاب المتوسطية على ميزات عدة: إذ تأخذ الألعاب الفردية حصة الأسد في هذه المجموعة غير المتباينة نسبيا, وحيث يبدو أن وجود عدد من الرياضات مرتبط بالشروط المناخية و المادية مثل الرياضات البحرية. إن برمجة بعض الألعاب الجماعية غير ثابتة مثل الركبي و الهوكي. كما أن مساهمة بعض الفرق الوطنية تتغير مثل غياب الفريق الفرنسي لكرة السلة في باري. و يمكننا أن نشير إلى بعض الحالات الغربية مثل الظهور الإستثنائي: هوكي الحلبة, أو خصوصية بعض الألعاب مثل المصارعة و ألعاب الكرة الحديدية مؤخرا. و هناك خاصية ذات طابع ثقافي لا تليق بهذه الألعاب و هي الحضور المتأخر جدا للنساء في المنافسات في عام 1967 فقط. و تكتسي الألعاب المقبلة في تونس عام 2001 صبغة خاصة حيث سنحتفل لا بخمسينية الألعاب فقط, بل أيضا بثلاثينية أول مساهمة نسائية في الألعاب في تونس عام 1967. و أخيرا تحتكر دول ثلاثة المراكز الأولى بشكل منتظم: إيطاليا و فرنسا و اسبانيا, كما يبدو منطقيا إذا أخذنا بعين الإعتبار موقعها الإعتيادي في المنافسات الكبرى الدولية, و كذلك مستوى تطورها. و على الرغم من أنه بإمكاننا أن نتساءل بالنسبة لبلد مثل, إيطاليا, فيما إذا كانت الألعاب المتوسطية تمثل تحضيرا لمعركة. أما الأمم الأخرى و بخاصة البلدان العربية, فإنها تتميز خاصة حين تنظم الألعاب.

**سياق جغرافي سياسي دقيق** البحر المتوسط مكان لقاء جغرافي وتاريخي و رمزي. إن المجموعة الجهوية المتوسطية هي في الوقت نفسه إبداع ثقافي معاصر, ذلك البعد أظهرته أعمال بروديل, و حقيقة جغرافية بديهية تجمع بلدانا تعود إلى قارات ثلاثة (أوروبا, آسيا, إفريقيا). و بما أن البحر المتوسط هو أكثر من رابط موحد, إذ يشكل فسحة لقاء و مجابهة و تبادل و مواجهة بين مختلف الحضارات التي تقع على شطانه. و أخيرا إن البحر المتوسط أكثر من حقل حضاري متجانس, إنه مرجع أسطوري مشترك لخيالات متعارضة في الغالب أو متنافسة, رغم الخلفية الحضارية المشتركة إذ يثري هذا المرجع بطرائق مختلفة بين صفة و أخرى ( مفهوم 'بحرنا' مثلا). ضمن هذه الشروط يثير مطلب المتوسطية في إطار الرياضة مشكلة: فهل تتطابق المتوسطية مع رغبة في استقلال الرياضة عن السياسة فقط أم أنها تتطابق, على العكس, مع مطالبة بيهوية مشتركة ضمن العلاقات الدولية؟ و ضمن هذا التطور لا يمكننا أن نهمل ملاحظة وجود عدد من الدول ذات أنظمة مختلفة في استغلالها للرياضة حسب مشاريعها السياسية. كما أنه من المناسب ألا ننسى أن الرياضة التنافسية الدولية قد أصبحت أكثر من أي وقت مضى, سلاح معركة سياسية حقيقي يخدم الدبلوماسية و العلاقات الخارجية للدول. بخاصة في منطقة لا تنقصها النزاعات المسلحة و مناطق التوتر.

**منطقة توتر دولية مستمرة.** رغم أن الألعاب المتوسطية لم تتعرض أبدا لخطر الإلغاء بشكل فعلي, فإن عدد الدول المساهمة قد تغير وفاقا للتورات الدبلوماسية و لعدد النزاعات التي مزقت الأمم التي تقع على ضفاف المتوسط. فقد وصل العدد إلى حد أدنى من ثماني دول عام 1955 في اسبانيا و إلى حد أقصى من 18 دولة في باري إذ أن جزءا من الزيادة الأخيرة مرتبط بتقسيم يوغسلافيا السابقة. كما أن هذا الرقم قد تضخم نتيجة تسجيل الدول الصغيرة مثل موناكو. إن إعداد قائمة وافية عن النزاعات السياسية التي جمعت دول المنطقة التي شاركت في الألعاب المتوسطية يبعث على الأسف. و علينا ألا نهمل عدة مناطق ذات شقاقت واضحة مثل البلقان و الشرق الأوسط. و من ناحية بنائية أكثر, تضم هذه الألعاب مجموعة دول تعود إلى فئات متميزة بتاريخها و ببنيتها و نموها.

الدول المستقلة حديثا: الجزائر و مصر و ليبيا و المغرب و تونس.  
الدول الشيوعية: ألبانيا و يوغسلافيا, أو ذات التوجه الاشتراكي مثل الجزائر.  
بعض الديمقراطيات الغربية: فرنسا, إيطاليا, اسبانيا, منذ 1975.  
يمكننا أن نذكر عددا من الدول الصغيرة مثل لبنان, أو الصغيرة جدا مثل مالطة و سان مارن.  
وجود العديد من النزاعات المسلحة: حرب الجزائر, حرب تشرين, الحرب اللبنانية, الحرب البوسنية.  
بلدان في حالة حرب شبه دائمة مثل لبنان و قبرص.

أهمية النزاعات الثنائية (اليونان و تركيا). و أخيرا, وبشكل شامل, هناك تعارض حضاري أساسي لا ينكر بين البلدان الشمالية للمتوسط و البلدان الجنوبية, بين الشرق و الغرب. و قد أضاف تاريخ هذا القرن إلى هذا التعارض خلق إسرائيل على الأرض الفلسطينية و الحرب الباردة. إن خطوط الشقاق متعددة و معقدة, و قد تطورت عبر الزمن. و يمكننا أن ندعش, أخذين بالإعتبار أن هذه التعارضات بين البلدان المشاركة ليست صعبة الحل, لأن الأمور لم تصل في الغالب إلى

درجة القطيعة. و بفضل المهارة الدبلوماسية للجنة الدولية للألعاب. يصح القول أن المساهمة في تطور مستمر و أن شعور الدول بأهمية الألعاب يزداد يوما بعد يوم. بعد مرحلة انتقالية, سيؤدي تعيين الفرنسي كلود كولار عام 1987 ( الرئيس السابق للجنة الأولمبية الفرنسية), رئيسا للجنة الدولية للألعاب المتوسطة إلى تعديل في الموقف الفرنسي حيال الألعاب المتوسطة, كما تظهر ذلك الوثائق الرسمية الصادرة عن وزارة الشباب و الرياضة. و كانت النتيجة الأخيرة لهذه السياسة, الإدراك المباشر للرهانات المرتبطة بهذه المنافسة التي يمكننا أن نربطها بإعادة تقدير البلدان الأعضاء في الجماعة الاقتصادية الأوروبية, لمواقعها تجاه البحر الأبيض المتوسط, أي إعادة التوضع التي أصبحت أكثر حدة منذ مؤتمر برشلونة عام 1995.

**فراغ إعلامي و رهانات سياسية.** من المفارقة القول أن الألعاب المتوسطة تستفيد من التكتم الإعلامي النسبي الذي يحيط بها, و الذي ينسجم بشكل مناسب مع هذه الألعاب بحيث لا تخشى استخدامها من قبل الدول المشاركة كعلبة طنين. و في الواقع, لا تمثل الألعاب المتوسطة منبرا سياسيا هاما, و لا تولد إذن الكثير من الإغراءات السياسية إلا على المستوى المحلي, و ذلك لضعف الإعلام العالمي بها, على عكس الألعاب الأولمبية. لذلك, و بدل الحديث عن منبر إعلامي, من المناسب إذن تفضيل تعبير واجهة سياسية بالنسبة للدول المنظمة. وهكذا فإن قراءة متأنية لبعض كتيبات التقديم المحفوظة في متحف الرياضة في اللجنة الأولمبية الفرنسية, يسمح بكشف الرهانات المتغيرة وفق البلدان المضيفة. أكدت اسبانيا فرانكو التي نظمت الدورة الثانية للألعاب المتوسطة عام 1955 غايتها السياحية و ألحت على ممارسة بعض الرياضات مثل الكولف, الفروسية و التنس, التي تعتبر أرستقراطية, مما يشير إلى الممارسات الرياضية في تلك الفترة من جهة و إلى الغاية السياحية الموجودة. أما الإستخدام السياسي, فإنه يأخذ كل أبعاده حين نعرف أن رئيس اللجنة المنظمة لم يكن سوى العقيد ماسكارديو. آخر المدافعين عن الكازار دو توليد, ذلك الوجه الرمزي, إذا صح القول, للسلطة الفرنكية. فكيف ندهش إذن, و الأمر كذلك, من غياب يوغسلافيا تيتو أو من إخفاء الملعب الأولمبي في مونجويش الذي بني من أجل الألعاب الموازية التي حضرها الجمهوريون عام 1936 و البلدان الشيوعية لمنافسة ألعاب برلين. و على مستوى آخر, يبين النشر الرسمي لألعاب مراكش 1986 بوضوح الوعي الحاد برهان السلطة الملكية, ذلك أن صور الملك كرياضي كامل كانت حاضرة في كل مكان, كما أن ولي العهد قد ترأس اللجنة التنظيمية. و إلى جانب قضايا المجد, تمثل إرادة تطوير التجهيزات و الممارسات في بلد عدد الشباب فيه كبير, هما حقيقيا لدى كل البلدان. و المثل في ذلك تنفرد به مدينة اللانقية منذ ألعاب 1987. حيث توجد تجهيزات رياضية من طراز أولمبي. و تساعد خصوصية تنظيم الألعاب هذا الإستخدام المحدود على المستوى القومي, على عكس الألعاب الأولمبية, ذلك أنه يعهد بتنظيم الألعاب و إدارتها بشكل كامل إلى اللجنة المحلية, فيما تراقب اللجنة الدولية للألعاب المتوسطة المظهر الرياضي و الرسمي فقط. و من جهة أخرى, فإننا نسير إلى عنصر هام يتمثل في التفتت السياسي للمنطقة: فليس هناك قوة تملك القدرة الشرعية لفرض سيطرتها على البلدان الأخرى. و منذ أن تركت فرنسا و بريطانيا العظمى دور الشرطي في المنطقة, و الذي قامت به في القرن الماضي, و لأسباب مختلفة, لم ينجح بلد آخر, منذ ذلك الوقت في احتلال موقع مهيم.

**مفارقة الألعاب المتوسطة.** لقد أنشأت الألعاب المتوسطة في مناطق تتركز فيها أكثر النزاعات في العالم منذ خمسين سنة, و مع ذلك, فإنه لا يبدو أنها قد تأثرت بهذا السياق الجغرافي السياسي المضطرب. و يبدو أن هناك عددا من الأسباب في أساس هذه المعجزة المتجددة دوما: استقلال اللجنة الدولية للألعاب المتوسطة تجاه الضغوط الخارجية, سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم أولمبية. و يساعد في ذلك الضعف الإعلامي و الحياد السياسي الحقيقي. و الثمن الذي يدفع ضد الإستقلال المحلي للألعاب من قبل البلدان المنظمة و النقص في الإستقلال المالي و وسائل المراقبة التي يمكن أن تبدو ضارة في النهاية في حال الإغراق باتجاه العملة الرياضية, بما لا ينسجم مع إمكانيات المنطقة. و في النهاية, ينخرط وجود الألعاب المتوسطة ضمن التقاليد, رغم خصوصيتها. التقاليد الأولمبية القديمة التي لم تكن اغريقية محصنة, بل متوسطة, و بذلك تفقد الألعاب المتوسطة إلى إطارها الأصلي. من المنطقي أن تكون علاقاتها مع المؤسسات الأولمبية الحديثة صعبة أحيانا ففي حين تسعى الأولمبية إلى تجاوز الهويات القومية إلى شمولية كوكبية تعمل الألعاب المحلية, في الواقع, على تأسيس و تأكيد هوية مشتركة للأمم المشاركة. و أخيرا تبدو الألعاب المتوسطة بنواقصها خطوة تحضيرية من أجل إقامة مستقبل مشترك